عهد الشيطان

أحمد محمود شرقاوي

لم أكن أُدرك أن الموت قريبًا لتلك الدرجة، وأنه يستطيع أن يقتحم حياتنا وحياة أحبابنا ليأخذ من يشاء بتلك البساطة، كنت أظن أن الموت لن يقترب ناحيتي ولكن هيهات هيهات: فها قد جاء واقتنص ورحل هكذا بكل بساطة.

كان يومٌ طويلًا بحقٍ، بل إنه أطول يومٌ في حياتي ولكنه انتهى بخروج أخر شخص من الصوان وهو يرسل نظرات الشفقة تجاهي وكأنه يريد أن يقول أنني قد حضرت عزاء زوجتك، اللعنة عليهم جميعًا ، لا أريد أحدًا أن يواسيني فكلهم يتصنعون الحزن، فقط لن يشعر بالمصيبة سوى صاحبها والأكثر ظلمًا أنه أيضًا من تجبره الظروف على الوقوف ثلاثة أيام في العزاء ليلتهمه التعب والإرهاق والحزن التهامًا، والأصعب نظرات الشفقة التي تغرد فوق رأسه كالطيور المحلقة فوق العش.

خرجت نفس النظرة من عينيّ أمي، ولكن لم أبال بوجودها من الأساس ودخلت غرفتي لأنام، بعد منتصف الليل استيقظت على صوت المنبه فارتديت ملابسي على عجلٍ وانطلقت، إلى أين؟ سنعرف بعد قليل.

خرجت ملثمًا على غير العادة من البيت بعد أن غرق الجميع في النوم، ولم يكلف أحدهم نفسه حتى ليطمئن على من فقد زوجته ولكني لا أبالي لأحد، كانت البلدة تشبه بلدة الأموات لا صوت يعلو على صوت خطواتي المسرعة ناحية الجهة

الشمالية حيث تسكن شواهد القبور، وهكذا كحال كل البلاد فبعد أذان المغرب يهرع الجميع إلى بيوتهم وكأن الوحوش تخرج في هذا الوقت والقلة هي من تخرج لتؤدي صلاة العشاء، وهم على يقين أن الله سيحميهم من تلك الوحوش الوهمية.

وصلت أخيرًا إلى الطريق المؤدي للمقابر ولم يُصادفن طوال ربع ساعة من المشي سوى قطة صغيرة ترتجف من البرد والغريب أنها نظرت لي نظرة تحذيرية، وكأنها تقول:

-لا تفعل!

أفقت من شرودي حينما صادفت أول شاهد من شواهد القبور كان يقف شامخًا راسخًا كالأهْرامات التي تقف في شموخ منذ آلاف السنين، شعرت منه بنظرات ولكن نظرات من نوعٍ أخر، لم تكن تلك النظرات التي أغرقتني في العزاء ولكنها كانت نظرات سخرية واستهزاء وكأنه يقول:

- هل تظن أنك ستهرب من مصيرك؟ ، فكم ظن الكثيرون مثلك نفس الظن ولكن في النهاية أفاقوا ليجدوا أنفسهم وقد دُفنوا في بطني.

شعرت برجفة غريبة لا أدري أهو البرد القارص أم أنها هيبة القبور التي ستلتهمني يومًا ما، بدأت أسير بين شواهد القبور ببطءٍ شديد وآلاف الخيالات تتلاعب بي بسبب تلك المصابيح الواهنة التي تنازع لتخرج ضوءً ضعيفًا يلتهمه الظلام سريعًا، وتتشكل بسبب تلك الظاهرة الخيالات على الجدران وكأنها أشباح قادمة تلتهمك بلا شفقة، بدأت تلك الهمسات تخرج من الظلام وكأن الأموات يتهامسون بقدوم من ينتهك حُرمتهم في ذلك الوقت، و بدأ الخوف يدق أبواب قلبي بقوة وأخذت أفكر جديًا في التراجع، ولكني تذكرت العهد وبدأ الصراع بداخلي

صوت يصرخ بأن أتراجع سريعًا، والأخر يقول: لا تتراجع فقد اقتربت كثيرًا من الوفاء بالعهد، و مرت بخاطري تلك الذكرى حينما كنت جالسًا محتضنًا زوجتي وهي مبتسمة تلك الابتسامة الملائكية وقالت:

- حبيبي، أريد أن أبقى معك دائمًا.
- وأنا أعدك أن أكون معك دائمًا و أبدًا.
- ولكن، قد يسرق الموت أحدنا من الأخر!
- لا تقلقي، فأنا أعدك بأن الموت نفسه لن يقدر على أن يأخذك مني

الغريب في الأمر أن الموت نظر لي بكل سخرية يومها وانتظر ثلاثة أيام فقط ثم أخذها مني، وسمعت يومها ضحكاته وهو يقول أرني شجاعتك يا هُمام!

ها قد وصلت أمام باب القبر الذي قد سرق زوجتي رُغمًا عني ولكني لن أتركها له أبدًا، أخرجت المفتاح من طيات ملابسي وبيدين ترتجفان من الخوف بدأت أضع المفتاح في القفل، ولكني فقدت السيطرة على يدي وسقط المفتاح أرضًا، جلست أرضًا أبحث عنه حتى وجدته ثم أعدت المحاولة حتى سمعت الصوت المُرعب الذي يخبرني أن المفتاح قد أتم مهمته بنجاحٍ وأن القفل أصبح مفتوحًا، شعرت برجفة المفتاح في يدي وكأنه يرفض هذا الوضع، بدأت أصرخ في داخلي:

- استيقظ يا رجل من أوهامك وأتم مهمتك، زوجتك بالداخل تنتظرك نظرت في الساعة المعلقة على ساعدي والتي كان عقرب الثواني فيها يتحرك بصوت مسموع جدًا، وكأنه يرفض أيضًا هذا الوضع فوجدتها قد اقتربت من الواحدة، يجب أن أُسرع في عملي؛ فصديقي الكيميائي الذي سيحنط جسد زوجتي سيصل بعد ساعة ويجب أن يجدني في شقتي التي تعلو شقة أهلي، ومعي جسد زوجتي.

دفعت باب القبر ببطءٍ شديد وأنا ألهث من فرط الرعب وكأنني كنت أعدو لأيام، أصدر الباب صوت صرير مرعب حتى ظهر ما وراءه فأشعلت ضوء الهاتف ونظرت داخل القبر وشهقت من الرعب.

لقد كانت زوجتي تجلس وهي مبتسمة وكأنها كانت تنتظرني، انتفض قلبي بين ضلوعي وأعقبه انتفاض جسدي كله حتى سقط الهاتف أرضًا فأحضرته سريعًا، نظرت ثانية وشهقت من الرعب فقد كان القبر فارغًا سوى من جثة حديثة ممددة على الرمال في هدوءٍ مخيف، طردت كل الأفكار المرعبة من رأسي وأقنعت نفسي أنني كنت أتخيل ما رأيت منذ لحظات، وهبطت بقدمي داخل القبر.

الأن صرت قريبًا جدًا من حبيبتي، ويجب أن أتم مهمتي سريعًا، اقتربت من الجسد الممدد، مزقت الكفن بمطواةٍ صغيرة من ناحية الوجه ولمست وجهها بأناملي وشعرت بالبرد يغزو كياني لقد كان جسدها باردًا لأقصى درجة، وجهت ضوء الهاتف ناحية وجهها نفس الوجه الملائكي البريء، ولكن هناك زرقة مخيفة أخذت تلهو بين شفتيها وعينيها ولكني لا أبالي، بدأت أحمل الجسد وما إن حملته حتى أسقط جسدها بفزعٍ بعد أن سمعت همسة تقول:

- "اتركني هنا".

بدأت أنظر للجثة بفزعٍ حقيقي وأخذت أتراجع ناحية الباب في رعبٍ، ولكن صوت مفزع جعلني أقفز من مكاني لقد كان صوت باب القبر وهو يُغلق بقوة، أصبحت دقات قلبي كالطبول الأفريقية من شدة ضرباته و أخذت أنتفض في

مكاني؛ فالآن صرت حبيسًا داخل قبر ولا يعرف أحد عني شيئًا، طرقت على الباب بكل هستيريا وجنون، وصرخت بكل قوتي ولكن تسمرت في مكاني على صوت حركة خفيفة ورائي فنظرت بسرعة فوجدت زوجتي تتثاءب بكل رقة وكأنها مستيقظة في فراشها، أصبحت منتصب كالجسد الذي قد فارقته روحه وأنا لا أستطيع النطق أو الحركة فقط أشاهد ما يحدث ثم نظرت لي زوجتي وهي مبتسمة وقالت:

- لقد وفيت بالعهد يا حبيبي، ولكن مثل هذا العهد الملعون يكون من عهود الشيطان وليس من عهود البشر، وأنا أرحب بك في قبري رفيقًا لي يا حبيبي، ولكي تعلم شيئًا أنا لست زوجتك أنا قرينتها، فنظرت الركن الأخر من القبر فوجدت زوجتي جثة هامدة، وأكملت من تتحدث ولكنك قد عاهدتنا معًا، مرحبًا بك في قبري، وسقطت أرضًا فاقد الوعي من هذا الهول!

كان هناك صوت رنين مستمر قادم من أحد القبور، ففتح باب القبر عبد العال حارس المقابر، فوجد جثة شاب وقد شاب شعره بالكامل، وبجواره الهاتف فأمسكه وهو يظن أنه ممَن ينبش القبور فوجد ملفًا مكتوبًا يحكي تلك القصة فنشرها، وكانت القصة الوحيدة التي تُنشر بعد موت صاحبها بيومٍ واحد!